

**التحديات التي لاقت الإسلام**

**ونجح في مواجهتها**



لقد لاقى الإسلام في مساره صنوفاً من التحديات، وتجلت حيوية أجياله في قدرتها على مقابلة هذه التحديات، فتجعل من عقباتها معابر إلى آفاق أوسع، فكان التحدي هو أن يصل الإسلام إلى الأذان والعقول والقلوب، وأن يتحمل المسلمون مسؤولية ذلك، ونالهم من الأذى البدني والاجتماعي والاقتصادي والفكري الكثير، فهاجروا إلى الحبشة، وحوصروا في شعب بني هاشم، ومع ذلك كله استطاعوا تكوين القاعدة البشرية التي تستطيع حمل هذه الأمانة.

كما كان من مسئوليتهم تكوين القاعدة الأرضية، فكانت الهجرة إلى المدينة؛ لتتكون الدولة الإسلامية الأولى حيث الأرض والبشر والتنظيم في وحدة إسلامية جامعة، وكان على هذه القاعدة أن تنمو داخلياً، وأن تكون ذاتها خارجياً، ومع هذه التحديات، وتلك الصعاب أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الدولة الإسلامية الأولى في المدينة بعد هجرته إليها، وكانت هذه الدولة ولا تزال المثل الأعلى لكل حكومة يقيمها المسلمون في أي عصر، ولكل مجتمع يريد أن يحيا حياة فاضلة كريمة، وكان قائدها "محمد - صلى الله عليه وسلم -" المثل الأعلى لكل قائد أو حاكم مسلم، ولكل زعيم يريد لشعبه السعادة والخير، وإنقاذه من ظلمات الجهل.

بني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "المسجد النبوي"؛ لتظهر شعائر الإسلام، وترتفع كلمة الحق، فتعطي بذلك مظهر المجتمع في عقيدته، كما أن هذا المسجد المكان الذي يتلقى فيه المسلمون أمور دينهم وتوجيهاته، والمُنْتَدَى الذي تتألف فيه العناصر القبلية المختلفة التي باعدت بينها النزعات الجاهلية، وتأخذ المفاهيم الإسلامية الواحدة، وتستقى الدروس من المبدأ الجديد، فكان مركز حزب الله، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلقي المحاضرات المنتظمة في كل

أسبوع، وذلك في "خطبة الجمعة"، ثم محاضرات إضافية كلما دعت الحاجة إلى ذلك، أو عن له - عليه السلام - أمر من الأمور ليوضح الخط، ويرسم الطريق، ويبين المنهج الذي يجب أن يسلكه الأعضاء، ومن هذا المنظور الإسلامي يجب أن تكون هناك جماعة مخططة ومنظمة بشكل دائم، تأمر بالعرف، وتنهي عن المنكر، وتقف في وجه الانحراف والمنحرفين، فذلك هو صمام الأمن والأمان للوطن والمواطن.

وقد كانت جماعة المسلمين كذلك، كما كان رئيس التنظيم "محمد - صلى الله عليه وسلم -" وأعضاؤه صحابة رسول الله - عليه السلام - ورضي الله عنهم أجمعين، وبانتهاء جيل الصحابة - رضي الله عنهم - بدأت زاوية الانحراف بالانفراج، وقد كان الانحراف يومذاك يسيراً، بيد أنه بدأ يتسع، ويزداد بمرور الزمن. وإذا لم يكن تنظيم الصحابة قائماً بالمفهوم الحالي للتنظيم، إلا أنه موجود من حيث الفكرة، وطريقة التطبيق، حيث تلقى الجميع من مدرسة واحدة، ومن معلم واحد، تلقياً بالسمع، وتعلماً ليس بالرواية، وإنما بالعمل والتجربة والصحة، ومن هنا يجب أن يكون التلقي اليوم من مصدر واحد، والاستقاء من منهل واحد؛ كي تتوحد الأفكار وتكون المشارب مشرباً واحداً، فإنه كلما كثرت المدارس، وتعددت المناهل، زاد الانفراج في زاوية الانحراف، ثم بدأ الاختلاف<sup>(١)</sup>.

أعلن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن المسلمين أمة واحدة من دون الناس، بغض النظر عن الانتماءات للجنس أو العرق أو الشعب، وبغض النظر عن اللّغة التي يتكلمونها، المهمّ هو العقيدة الرّاسخة في النفس.

(١) جدد حياتك: للشيخ / محمد الغزالي السقا - بتصرف - ط: دار القلم - دمشق .

أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحكومة الإسلامية في المدينة، وكان - عليه السلام - رأس هذه الحكومة، يطبق منحه الله، ويقيم حدوده، وكان أصحابه مستشارين ووزراء له، كما كان قائداً للجيش، فإذا سار إلى حرب عيّن أحد مستشاريه مكانه رئيساً للدولة بالنيابة، وإذا مكث في المدينة عيّن قائداً للجيش. كما كان هناك مقرّعامٌ لتلقى الفكر الإسلامي والتعاليم لمبادئ الإسلام، وإلقاء المحاضرات لتأكيد هذه المعاني في النفوس، فهو تنظيم وإعداد خاص بالأمة الإسلامية من دون الأمم.

وكان هناك مستشارون يرجع إليهم في الملمات، وعقد المعاهدات، وتحديد الصلّات مع غير المسلمين، وكان بجانب ذلك يجمع إلى جانب هذه الأمور النواحي الدينية، فهو رسول الله للناس كافة.

إن الإسلام يتمثل جوانب الحياة من سياسية، ودينية، واقتصادية، واجتماعية<sup>(١)</sup>، بل تقع كلها في إطار الدين، وتحت عنوانه، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يُشرف على جميع هذه الجوانب، ويرعاها حق رعايتها، فلم يكن الرسول ليقتصر في جانب على حساب جانب آخر، ولا يهمل جانباً لتقوية جانب آخر، وكذلك كان الخلفاء الراشدون من بعده.

ولم يحاول أحد من المسلمين أن يفصل الأمور السياسية عن الدين، فيقول كما قال بعض الحكام: "لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة"، فبتلك الافتراءات استطاع الأجنبي السيطرة على بلاد المسلمين وتحريكها مثل قطع الشطرنج، أو كالكرة التي يتقاذفها اللاعبون مرّة بالرأس، وأخرى بالقدم، ففصل

(١) ذاته .

الدين عن الحياة من مصلحة المستعمرين، وتنحية الدين عن جوانب الحياة كما هو الحال في دينهم الذي لا تشريع فيه يوجد ازدواجية في الحكم، فرجال الدين لديهم يمارسون الطقوس الدينية على حين ينفرد الحكام بتسيير الأمور الدنيوية، وبذلك تكون هناك ازدواجية في السلطة، رجال الدين يشرفون على الأمور الدينية من داخل كنائسهم وصوامعهم، ورجال الحكم يشرفون على الأمور الدنيوية من داخل قصورهم، وعند نشوب خلاف لا بدّ من أن يرضخ أحدهم للآخر، الأمر الذي جعل صراعاً مريباً يقع بين الكنيسة والملوك، انتصر فيه الملوك في النهاية؛ حيث السلطة في أيديهم.

وفي كل عصر من الأعصر لا يعدم الحاكم الوسيلة للوصول إلى غايته عن طريق من يدعى العلم، أو يتزناً بزى العلماء، ففي كل مجتمع طلاب مصلحة، وهواة زعامة، وعشاق مظهرية، وبخاصة ذلك الصنف الذي لا يردعه رادع من كتاب أو سنة، أو ضمير أو خلق، حتى عمى الأمر على بعض السذج والبسطاء، فظنوا أن الدين شئ، والسياسة شئ آخر، ونال أعداء الإسلام ما أرادوا في عزل الدين عن واقع حيوات المسلمين.

بيد أن مجالات التحدي قد اتسعت، ومرّت الحياة في المدينة بمرحلتين أساسيتين:

**أولاهما:** قبول التحدي من مشركى العرب ومن معهم من اليهود فى خطاً من الحصون ممتد من المدينة إلى تيماء، مروراً بوادى القرى، وخيبر، وفدك.

**ثانها:** قبول التحدي من دولتى الفرس والروم، وبعض هذا التحدي ما زال مستمراً حتى الآن فى صورة جديدة.

ثم نرى مرحلة ثالثة، وهى "مرحلة الكوفة" التي استغرقتها الحروب الداخلية بين أمير المؤمنين "على بن أبى طالب" - رضي الله عنه - و"معاوية بن أبى سفيان" - رضي الله عنه- وبدأت فيها بعض الثمار المرّة لفتنة "عثمان بن عفان" - رضي الله عنه- وعن الصحابة أجمعين<sup>(١)</sup>. وأريقّت فيها دماء ما زالت رطبة حتى الآن، وأزهقت أرواح، وعلى الرغم من هذه الصّراعات في عهد الخليفة الراشد "على بن أبى طالب" - كرم الله وجهه - فقد أرسل جيشاً فتح "السند" عام ٣٩هـ/٦٦٠م.

ثم كان التحديّ في عهد بنى أمية أكثر أسعاً، وعلى الرغم من هذا حاولت "دمشق" أن تمسك بالمبادرة فى يدها، وقد تمثّلت التحديات فى الأفاق التالية:

**أولاً: الصراعات الداخلية بين القوى الإسلامية:**

**ثانياً: تنظيم وتحديث الدولة، وضبط التوازن بين الأصالة الإسلامية والعربية، وبين الحضارات التى لقيها الإسلام، وبخاصة ما كان فى الدولة الرومية.**

**ثالثاً: حماية الدولة الإسلامية براً وبحراً، ومدّ حدودها، ومن أجل هذا خاضت حروباً امتدّت شرقاً إلى الأطراف الغربية للصّين، وشمالاً حتى القسطنطينية، وغرباً حتى المحيط الأطلسى، وعبرت جبل طارق حتى أدركت السّهول الجنوبية فى "فرنسة"، وهذا مع المحافظة على نواة عربية إسلامية تحمل المسئولية العليا، والقيادات متعاونة مع الشعوب التى قابلت الإسلام ديناً.**

(١) الإسلام والعروبة فى عالم مبعثر : د/ عبد العزيز كامل ص ١٦١ بتصرف .

وكانت صورة التحدى فى العصر العباسى قد أصابها تعديل جديد، برز فيه الوجه الحضارى، وحوار الحضارات كان عقلاً أحياناً، عنيفاً دائماً أحياناً أخرى، وشهد العالم الإسلامى تمرّق وحدته السّياسيّة، وبرزت خطورة سيطرة العناصر التركيّة المجلوبة على الجيش، وسيطرة أسر عربيّة وغير عربيّة على أجزاء من الدولة، وأصبح مضمون الخلافة رمزاً أكثر من حقيقة واقعة، وانعكس هذا استقلالاً للمنتجين الحقيقيين فى الزراعة والصناعة والتجارة، وثورات وتطلعات إلى السلطة فى أقطار الدولة، مما مهّد الطّريق أمام زوال الخلافة العباسية عام ١٢٥٨هـ/١٢٥٨، على يد التتار، ومع بروز مراكز بديلة لبغداد فى قيادة أجزاء من العالم الإسلامى، إلا أن أكبر التحديات فى هذه المرحلة كان عسكرياً، وأبرز ما فيه الخطر التتارى والصّليبي، وقد استطاعت المراكز البديلة صدّ الهجمات والاحتفاظ بالوجود الأسمى، وإن تعددت فيها القيادات، ولو صحب التعدد تعاوناً لاستطاع أن يثمر الإسلام خيراً، ولكن الصراع الذى حدث بينها استهلك الكثير من طاقة الإسلام.

ولعل أخطر ما حدث هو سبق دول غرب أوربة إلى كشف العالم الجديد، والطّواف حول إفريقيا، وحول العالم، وبهذا العمل أمكنهم تطويق العالم الإسلامى والضغط عليه، ثم اختراقه وتمزيقه فى قطاعاته الآسيوية والإفريقية والعربية، وأصبح التحدى هو: كيف تحافظ الدول الإسلاميّة على استقلالها وأكثرها عجز عن ذلك<sup>(١)</sup>.

(١) ذاته ص ١٦٢ - ط: الكويت فى ١٥ من يناير ١٩٨٩م كتاب العربى .

ثم جاءت تباشير الصّحة الإسلاميّة مع القرن العشرين على مستوى وطني، ولكل قطر شأن يغييه، واستطاع بعضها أن يعيد استقلاله، وقويت الموجة بعد الحرب العالميّة الأولى، وعلت بعد الحرب العالميّة الثانية، وإن استطاع الاستعمار أن يغرس خنجراً غائراً في جسم العالم الإسلامي، بدأ بوطن قومي لليهود أفرخ قيام إسرائيل كقاعدة استيطانية توسعيّة، تتلقى المدد الدائم البشري، والمادى والمعنى من عدد من الدول الكبرى، وتمثل تهديداً دائماً للعالمين العربي والإسلامي، ولها تعاونها المنتظم مع قاعدة مناظرة في جنوب إفريقية.

ومع ثورة الاتصال المعاصر، وتوافر موارد اقتصادية في بعض أجزاء العالم الإسلامي كالنفط، ومزيد من الإحساس بالأصالة من ناحية والرغبة في التكتل الواعي من جهة أخرى، وقوة الإحساس بالأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي، ظهرت الحاجة إلى تنظيم مجتمع جديد تبلور في إنشاء "منظمة المؤتمر الإسلامي" بعد المحاولة الأثمة لحريق المسجد الأقصى في عام ١٩٦٩م.

وما زال التحدي مستمراً بضراوة بالغة، ولا بد للمسلمين من الوحدة الشاملة، وإذا رجعنا إلى مقررات مؤتمر القمة الإسلامي الخامس، الذي شهدته الكويت في يناير سنة ١٩٨٧م/ جمادى الأولى سنة ١٤٠٧هـ لرأينا صورة هذا الشمول الذي يضم الآفاق السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية، ثم هو ينطلق من نقطة مركزية هي "المسجد الأقصى، والقدس الشريف، وفلسطين الإسلامية العربية، لتنداح دوائره حتى تضم العالم الإسلامي كلّه، والجاليات الإسلامية في مهاجرها الجديدة، وهي مقررات تعنى بالبشر كما تعنى بالأرض التي يعيشون فيها، وتربط بين الأصالة والنظرة المستقبلية، وتنظر إلى التراث ككيان له نموه

وحيويته المتجددة<sup>(١)</sup>. فلا بد من العمل، يقول -تعالى-: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّيَ اللَّهُ  
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾ [سورة التوبة: ١٠٥].

وإن دراسة الأحداث للاعتبار والذكرى، يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿لَقَدْ  
كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصَدِيقَ الَّذِي  
بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف: ١١١]

ويفرض هذا كله على العالم الإسلامي في العصر الحديث تشكيل عقلية  
إسلامية واعية، قادرة على الإحاطة بهذه الأحداث كلها، ولا بد من تضافر الجهود  
دولاً وجماعات وأفراداً، يعملون بروح الفريق الواحد عابرة الحدود السياسية  
والعصبيات والزعامات الواهمة، والتوترات الإقليمية، مع رعاية هذه العقلية،  
وتشكيلها حواراً متصللاً يستهدف مزيداً من الوعي بمشكلات العصر، ومسئولياتنا في  
عالمنا الإسلامي كحضارة متفاعلة مع المسيرة العالمية، ونود أن تصبح هذه العقلية  
تياراً قوياً قادراً على اجتذاب كثير من الطاقات التي تبددها الصراعات الضيقة،  
والطائفية والاهتمامات الجزئية الانعزالية، لتتوجه جميعاً إلى مقابلة التحدي  
الحضاري المفروض على العالم الإسلامي.

مع أننا إذا كنا نتجه نحو هذا الهدف فهناك من يحاول صرفنا عنه وتبيد  
طاقاتنا في مسارب جانبية، وهذا يفرض علينا مسؤولية أخرى، وهي: مقاومة  
العقبات التي يصنعها الآخرون في طريقنا، فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً،  
ومع هذا فإن الطريق طويل، وملئ بالأشواك، والعمل فيه لتحقيق آمالنا  
في احتياج إلى تنسيق كامل على الصعيد الإسلامي العالمي، ومبدؤه الإنسان المسلم

(١) ذاته ص ١٦٢ .

في قطاعاته الأربعة: العربي، والأفريقي، والآسيوي، وجاليات المهاجر الجديدة<sup>(١)</sup>.  
وفى اهتماماته المتكاملة.  
وأولى الهيئات بشئون تنظيمه ومتابعته هي "منظمة المؤتمر الإسلامي"،  
والأمل الكبير في أن تقوم "الكويت" في الدورة الخامسة لرياستها المؤتمر بدور رائد  
نحو هذا الهدف المنشود.

---

(١) ذاته بتصرف ص ١٦٤ وما بعدها